الاتجاهات الحديثة فى الأدب الانجليزى

استعرض (ف . س . بريتشت) الناقد الأدبى لمجلة (نيوستيتسمان اند نيشن) الإنجليزية الاتجاهات الحديثة فى الأدب الإنجليزى فأبى أن يعترف بأن هناك اتجاها أو اتجاهات معينة تشوب الإنتاج الأدبى فى الجزر البريطانية . والواقع أن المستر بريتشت حذر من دراسة الأدب على أساس « الاتجاهات » . وقال إن الروائع الأدبية فى معظم العصور الأدبية لم تكن جزءا من اتجاه أدبى معين وإنما كانت وليدة الإبداع الفنى الخالى من أى اعتبار آخر

وذكر المستر بريتشت على سبيل المثال ثلاث قصص من أروع القصص فى بريطانيا اليوم تعالج موضوعات مختلفة لا يمكن أن ترتبط باتجاه معين فى حاضر الأدب الإنجليزى . من هذه القصص « prisoner of grase » من تأليف القصصية المعروفة (سوبس كيرى) ، وهى قصة تعالج الحياة الخاصة والعامة لأحد رجال السياسة البريطانية فى عصر الملك إدوارد . ومنها قصة من تأليف (بازيل دافيدسون) بعنوان « The golden horn » ومحورها الجاسوسية فى منطقة النفوذ السوفييتى

إلا أن المستر بريتشت يقول بأن فى السوق الأدبية رواجا للقصص التاريخية — وهذا لا يعنى أن هناك اتجاها معينا بين الأدباء الإنجليز لمعالجة التاريخ فى قالب قصصى . ويشهد المستر بريتشت لقصتين من هذا النوع بالتفوق الأدبى والإبداع الفنى . هما « The golden warrior » من تأليف (هوب مونتز) و The man on a donkey للكاتب المعروف (هـ . ف . م . بريسكوت) وهى صورة فنية ممتعة للحياة البريطانية فى عصر الملك هنرى الثانى

والاتجاه الوحيد الذى يعترف به المستر بريتشت يتصل باللغة — وعلى الأخص لغة الترجمة — فقد شاع فى الأوساط الأدبية الإنجليزية فى الآونة الأخيرة اتجاه واضح لإعادة ترجمة الروائع الأدبية الكلاسيكية فى لغة مبسطة يصفها المستر بريتشت بأنها أقرب إلى الابتذال اللغوى منها إلى البساطة وسهولة التعبير . ويضرب مثلا على ذلك بالترجمة الجديدة « لفاوست » التى أفقدت هذا السفر النفيس كثيرا من جلاله الأدبى وروعته الفنية . وكذلك الترجمة الجديدة لأنيادة فرجيل التى لم تضمن للنص الأصيل جلالته الفنية

وهذا الميل إلى تبسيط الروائع الكلاسيكية بلغة المكالمة الحديثة لم تقتصر على المترجمات من روائع الأدب الأجنبى وإنما شملت الأدب الكلاسيكى الإنجليزى نفسه . فهناك نشاط أدبى لإعادة كتابة « قصص كنتربرى » ، وهناك رغبة لدى بعض الكتاب ودور النشر للاعتداء حتى على حرمة الأدب الشكسبيرى . وإذا علمنا أن المستر بريتشت يكتب لمجلة يسارية عرفت بآرائها المتطرفة فى السياسة والأدب أدركنا مبلغ استيائه من هذا الاتجاه لتبسيط لغة الروائع الكلاسيكية على حساب قيمتها الفنية

حاضر الأدب الهندى

نشرت جريدة النيويورك تايمس فى ملحقها الأدبى استعراضاً مريباً لاتجاهات الأدب فى الهند بقلم أحد الهنود . جاء فى هذا البحث أن من غير الصواب تصنيف الأدب الهندى على أنه « وحدة أدبية » تنطوى على ما تنطوى عليه الوحدات الأدبية فى الثقافات الحية من اتجاهات وتيارات . وذلك لأن الإنتاج الأدبى فى الهند يصدر فى عدد كبير من اللغات المحلية المتفرعة من السنسكريتية

ويؤكد واضع البحث أن حاضر الأدب فى الهند لا يشير إلى ازدهار ؛ فالازدهار صفة لازمت عصور الأدب الهندى التى سبقت عصرنا الحاضر ، فلم يقو كتاب الجيل الجديد فى الهند على منافسة نتاج رابندرنات طاغور

ومسرحياته ، وقصص (سارات شاترجى) وغيرها من أئمة الأدب فى الجيل المنصرم

ويعلل الكاتب أسباب هذا القصور بأن الجيل الذى يمثله طاغور كان يرزح تحت أعباء عاطفية شديدة — أعباء الصراع لتحقيق الحرية السياسية — مما فرض عليه انفعالات قوية للتعبير عن صور الحياة ومشاكل النفس والمجتمع فيما عبر عنه ذلك الجيل من شعر وقصص ومسرحيات

ومع هذا التبرير لا يجد هذا الكاتب عذراً للجيل الجديد فى تقصيره عن الإبداع الفنى . خصوصا وأن لديه موردا غزيرا من تراث جيل طاغور والأجيال التى سبقت ومن ذخائر الثقافة والأدب الإنجليزى الذى يحتل الآن مكان الصدارة كمورد للغذاء الفكرى فى الهند

ويشير الكاتب إلى أن أبرز كتاب الجيل المعاصر ، الذين يحملون تراث الأجيال السابقة ويبشرون بها هو الأديب الهندى الكبير (سنوميترا براساد بانت) ، وهو يكتب بالهندية hindi ويتعمد تصوير ألوان من حياة الطبقة الكادحة

وهناك القصصى البنغالى (جوبال هالدار) الذى لقيت قصصه الطويلة وأقاصيصه القصيرة رواجا كبيرا . ويقول واضع البحث إن الإبداع الفنى لدى هذا القصصى البنغالى محدود ، وإنتاجه يدور فى إطار فنى جماله وروعته لا تتعدى صورا قليلة العدد ، يميل الكاتب إلى تكريرها فى معظم إنتاجه الفنى

ويمثل هذا العرض يصف واضع البحث إنتاج القصصى الهندى المعروف (ياشبال) الذى « يجد لقمة الخبز فى كل مشكلة وحالة من حالات النفس ومجتمعها »

ويقول الكاتب إن هيمنة التفكير السياسى على الأدباء والمثقفين فى الهند جعلهم مغرمين بالأدب السياسى أكثر من أى لون آخر من ألوان الإنتاج الفكرى . ولذلك فإن حاضر الأدب الهندى يطفح بالدعوات المقتبسة من أنظمة الفكر المعاصرة التى تتطاحن الآن فى المعترك الدولى

وفى مجال الشعر يسيطر (مايثيلى ساران جوبتا) على زعامة القريض . فهو لا يكتب إلا شعرا . والغريب أنه قادر على الارتزاق من كتابة الشعر الفنى المحض ويعيش فى إحدى قرى الهند . ويتصف شعر (جوبتا) بالمحافظة وتمجيد العقيدة الهندوكية فى ألوانها الدينية والسياسية . ولشعره رنة موسيقية وعمق ، وفيه صورة صادقة لإحساسات المجتمع الهندى التقليدى الذى لم تفسده كثرة الاتصال والتشبه بالثقافة الإنجليزية وغيرها من الثقافات التى تجد فى الهند مجالا للرسوخ . ولهذا الشاعر رأى فى غرض الشعر . فهو يعتقد أن الشاعر يخاطب الروح وأن الفيلسوف يخاطب العقل . وبما أنه شاعر وليس بفيلسوف فإنه يتفادى أن يصوغ قصائده فى قالب فلسفى كما يميل إلى ذلك عدد كبير من الذين يتعاطون نظم القريض فى الهند

ويمتاز الناشئون من كتاب القصة فى الهند بأنهم يقتدون فى مستهل حياتهم الفنية بالاتجاهات التى يمر بها كتاب القصة فى إنكلترا على وجه الخصوص ، وفى أوربا وأمريكا على وجه العموم . فهم يبدأون بمعالجة مشاكل « القلب » والعشق والغرام وألوان الحب من وصال وهجران ، وأكثرهم يستمر فى هذا النوع من الأدب العاطفى ، ولكن البعض الآخر يميل فى سنوات النضوج العقلى إلى الاستفسار عن صلة المرء بالمجتمع الأكبر وأهمية الدور الذى تلعبه الشؤون الروحية فى هذه الصلة

ويروج فى الهند أدب المقال والنقد ، ويقبل عليه القراء بشغف

وللأدب الهندى وجه جديد هو ما كثر فى الآونة الأخيرة إنتاجه من أدب إنجليزى من أدباء هنود ، ولهذا الإنتاج سوق فى الهند وفى خارج الهند

الشعوبية الثقافية وموقف الاتحاد السوفيتى منها

هل تسمح الوحدة السياسية التى تجمع بين مختلف الولايات الأوربية والآسيوية التى تؤلف الاتحاد السوفيتى بنمو الثقافات المحلية لهذه الولايات؟ أم إن الوحدة السياسية

تحمل فى ثناياها الانصهار الشامل لهذه الثقافات المحلية فى بوتقة الثقافة السوفييتية الماركسية وما تنطوى عليه من أسس مرسومة للأدب والفن وشتى ألوان النشاط الفكرى؟

هذا سؤال عالجه مؤخرا بعض الكتاب الذين يتتبعون تطور الأدب الروسى فى ظل الحكم السوفييتى . واتخذوا حاضر الأدب والفن فى أكرانيا (أكبر ولايات الاتحاد السوفييتى الأوربية مساحة وأهمية) نموذجا لأبحاثهم

وقد استعرض أحد الكتاب الأكرانيين المقيمين فى المنفى حاضر الأدب والفن فى أكرانيا فى مقالة ظهرت مؤخرا فى إحدى المجلات الأدبية الأمريكية فقال : ازعجت الحكومة الروسية المركزية للاتجاهات « القومية » الانفعالية التى أخذت تبدو فى إنتاج أكرانيا الأدبى والفنى إثر الرواج الهائل الذى صادفته قصيدة قومية عنيفة نظمها أعظم شعراء أكرانيا المعاصرين بعنوان «أحب أكرانيا» وبلغ من أهمية هذه القصيدة أن كانت موضوع افتتاحية فى جريدة « برافدا » أعظم صحف موسكو اليومية نفوذا وانتشارا . والقصيدة وإن كانت مقصورة على تمجيد التراث الأكرانى والتغنى بمآثره أثارت انتقاد موسكو لأنها لم تصغ فى قالب الأدب السوفييتى ولم تتطرق إلى مدح النهضة الثقافية التى تقول موسكو بأن الماركسية السوفييتية قد نشرتها فى سائر أنحاء الاتحاد السوفييتى بما فيه أوكرانيا

وقد ذكرت جريدة برافدا فى افتتاحيتها عن الشعوبية فى الأدب والفن الأكرانى أن الملامة فى هذه الشعوبية تقع على عاتق الإدارة المركزية للحزب الشيوعى الأكرانى . وقالت « برافدا » إن الاتجاهات البرجوازية التى بدت فى بعض أوساط الفن والأدب فى أكرانيا وأخذت تمجد الثقافة الأكرانية الوطنية متجاهلة الأسس الجوهرية للفكر السوفييتى — هذه الاتجاهات ليست إلا الجهل بأهداف النهضة السوفييتية ومراميها فى تنمية الثقافات الروسية الإقليمية فى الولايات الأوربية والآسيوية التى تصهر الاتحاد السوفييتى فى بوتقة الفكر الماركسى الشامل . وأشارت برافدا إلى أن تسامح موسكو إزاء نمو الثقافات المحلية هذه الولايات السوفييتية لايعنى التغاضى عن صهر هذه الثقافات فى بوتقه الفكر السوفيتى الشامل

وانتقدت برافدا كذلك فقدان الكفاية العلمية والأدبية بين زعماء الحزب الشيوعى الأوكرانى وما يتبعه من معاهد علمية ومؤسسات أدبية وفنية ، وأشارت برافدا على سبيل المثال إلى عضوية «أكاديمية العلوم الأكرانية» وقالت بأن ٧٠ فى المائة من أعضائها مفتقرون إلى الثقافة العالية التى توفر لهم القدرة الفكرية لاستيعاب المبادئ الماركسية فى أبواب العلم والأدب والفن

ومن جراء هذه الحملة التى شنتها جريدة برافدا (لسان حال الكرملين فى موسكو) أن أدخلت تعديلات على عضوية اللجان الثقافية التى يوجهها الحزب الشيوعى فى أكرانيا ، ويسيطر بواسطتها على الحياة الأدبية والفنية فى ذلك الجزء الهام من الاتحاد السوفييتى . وقد منحت السلطات فى أكرانيا بإيحاء من موسكو تمثيل أوبر « بودهان خاملنتسكى » لما تضمنته من تمجيد للقومية الأكرانية . وكانت هذه الأوبرا قد لقيت رواجا منقطع النظير عندما عرضت لفترة قصيرة فى العاصمة الأكرانية

وقد حاول الأستاذ لينوند ماكينوف نائب ستالين فى أكرانيا أن يبرر هذه الرقابة السوفييتية على الإنتاج الأدبى والفنى فى أوكرانيا فأصدر بيانا مسهبا استعرض فيه المنافع الثقافية التى حققتها الإدارة المركزية للحكومة السوفييتية فى أوكرانيا . فقال إن أكرانيا قبل قيام العهد السوفييتى كانت مفتقرة إلى أبسط وسائل التعليم والإنتاج الأدبى والفنى . أما اليوم فإن أكرانيا تعيش فى خيرات ثقافية لا مثيل لها . ففى البلد أكثر من ١٥٨ جامعة ومعهد للدراسات العالية . وفيها ٧٥ مسرحا ودار للأوبرا . ولها ٢٦ فرقة موسيقية و ٢٨ ألف منتدى أدبى وثقافى . ويصدر فى أكرانيا ١٢٠٠ جريدة يومية و ٦٤ مجلة أسبوعية وشهرية

هذا لون من الصراع الفكرى فى روسيا السوفييتية لعل فى التعرف عليه نوعا من المتعة والفائدة